ميخائيل نعيمه

هَمسُ الجُفون



هَمسُ الجُفون

الرسوم الداخلية بريشة ميخائيل نعيمه ما عدا الرسم
المواجه ص ٢٦ فهو بريشة جبران خليل جبران

ميخائيل نعيمه

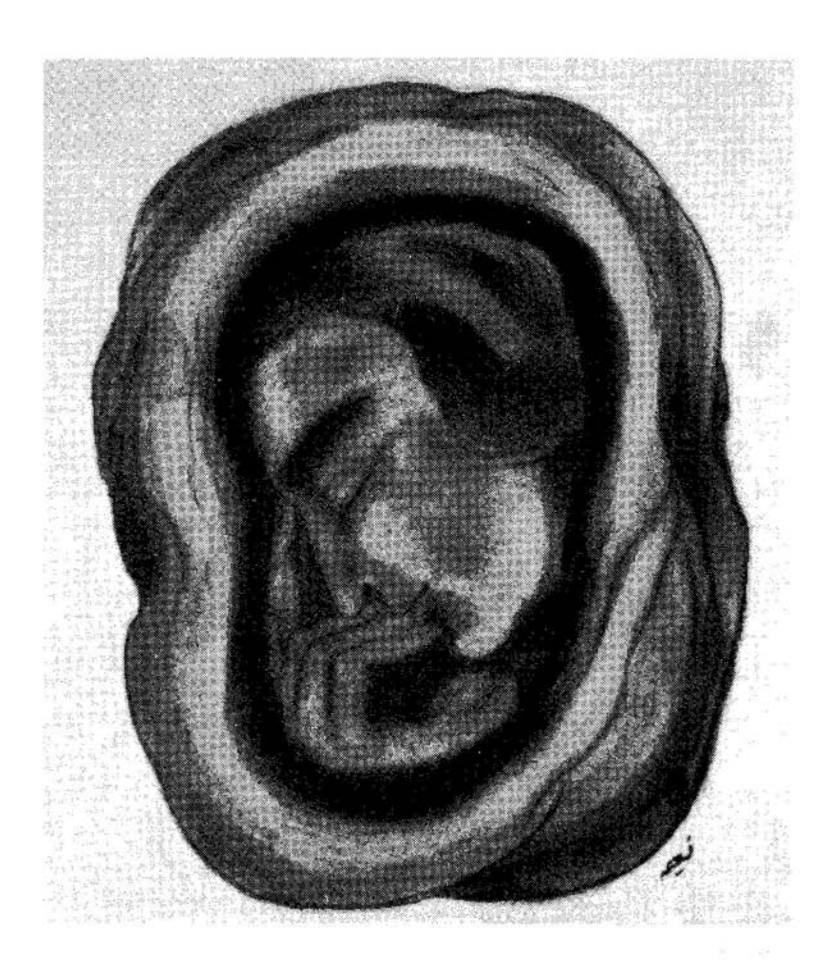
هَمسُ الجُفون



الطبعة السادسة
٢٠٠٤



٩٩ شارع الصوراتي • بيروت • لبنان • فاكس ٣٥٤٣٩٤ (٠١)
تلفون ٣٥٤٨٩٨ (٠١) ٧٤٦١٣٠ (٠١) ٤٩٩٠٧٤ (٠١)
E-mail: Naufalgroup @ terra. net . lb



اغمِضْ جفُونك تُبْصِرْ

إذا سمـاؤك يومـاً تحجّبـت بالغُيُـومْ
أغمِض جُفونَكَ تُبصرْ خلـفَ الغيـوم نجـوم

والأرضُ حولَـك إمّـا توشّـحَتْ بالثّلـوجْ
أغمِض جُفونَك تُبصرْ تحت الثّلـوج مـروج

وإنْ بُلِيـتَ بـداءٍ وقِيـل داءٌ عَيـاءْ
أغمِض جُفونَكَ تُبصرْ في الدّاءِ كلّ الدواء

وعندما الموتُ يدنو واللّحـدُ يَفغُـر فـاهْ
أغمِض جُفونَك تُبصرْ في اللّحد مهدَ الحياه

١٩٢٤

النَّهْرُ المُتَجمّدُ

يا نهرُ ، هل نضبَت مياهُك فانقطعتَ عن الخريرْ؟
أم قد هرِمت وخار عزمُك فانثنيتَ عن المسير؟

بالأمس كنتَ مرنِّماً بين الحدائق والزهورْ
تَتلو على الدنيا وما فيها أحاديثَ الدّهور

بالأمس كنتَ تسير لا تَخشى الموانعَ في الطّريقْ
واليومَ قد هبطَتْ عليكَ سكينةُ اللحد العميق

بالأمس كنتَ إذا أتيتك باكياً سَلّيْتَني
واليومَ صرتَ إذا أتيتك ضاحكاً أبكيتني

بالأمس كنتَ إذا سمعتَ تَنهّدي وتوجّعي
تبكي . وها أبكي أنا وحدي ، ولا تبكي معي

ما هذه الأكفانُ ؟ أم هذي قيودٌ من جليدْ
قد كبّلتك وذلّلتك بها يدُ البَرد الشّديد؟

ها حولك الصفصاف لا وَرَقٌ عليه ولا جَمال
يَجثو كئيباً كلّما مرّت به ريحُ الشَّمال

والحَورُ يندُبُ فوق رأسك ناثراً أغصانهُ
لا يسرح الحسّونُ فيه مردّداً ألحانهُ

تأتيه أسرابٌ من الغربان تنعَق في الفضا
فكأنّها تَرثي شباباً من حياتك قد مضى

وكأنّها بنَعيبها عند الصّباح وفي المساءْ
جوقٌ يشيّع جسمَك الصّافي إلى دار البقاء

* * *

لكن سينصرف الشّتا وتَعود أيّامُ الرّبيع
فتفكّ جسمَك من عِقَالٍ مكّنته يدُ الصّقيع

وتكرّ مَوجتُك النقيّةُ حُرّةً نحو البِحارُ
حُبلى بأسرار الدّجى سَكرى بأنوار النهار

وتعود تبسِم إذ يُلاطف وجهَك الصّافي النسيمْ
وتعود تسبَح في مياهك أنجمُ اللّيل البَهيمْ

والبدرُ يبسط من سماه عليك سترًا من لُجَيْنْ
والشّمسُ تستر بالأزاهر منكبيك العاريَين

والحَورُ ينسى ما اعتراه من المصائب والمحَنْ
ويعود يشمَخ أنفه ويمِيس مخضَرّ الفَنَنْ

وتعود للصّفصاف بعد الشّيب أيّامُ الشّباب
فيغرّد الحسّونُ فوق غُصونهِ بدل الغراب

* * *

قد كان لي، يا نهرُ، قلبٌ ضاحكٌ مثل المروجْ
حرٌّ كقلبك فيه أهواءٌ وآمالٌ تَموج

قد كانَ يضحي غير ما يمسي ولا يَشكو المَلَلْ
واليومَ قد جمَدت كوجهِك فيه أمواجُ الأمل

فتساوت الأيّامُ فيه : صباحُها ومساؤها
وتوازنَت فيه الحياةُ : نعيمُها وشقاؤها

سِيّانِ فيه غدا الربيع مع الخريف أوِ الشتاء ،
سِيّانِ نَوحُ البائسين وضِحكُ أبناء الصّفاء

نَبذَتْهُ ضوضَاءُ الحياةِ فمال عنها وانْفرَدْ
وغدا جَماداً لا يحِنّ ولا يميل إلى أحد

وغدا غريباً بين قومٍ كان قبلاً منهمُ
وغدوتُ بين النّاس لُغزاً فيه لغزٌ مُبْهَمُ

* * *

يا نهر ذا قلبي ، أراه ، كما أراك ، مكبَّلا
والفرقُ أنّك سوف تَنشط من عِقالك، وهو... لا

١٩١٧

* * *

أخي

أخي ، إنْ ضَجّ بعد الحرب غربيٌّ بأعمالِهْ
وقدّسَ ذِكْرَ مَن ماتوا وعظّم بطشَ أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا، ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتاً مثلي بقلبٍ خاشعٍ دامٍ
لنبكي حظّ موتانا

* * *

أخي ، إن عاد بعد الحرب جنديٌّ لأوطانِهْ
وألقى جسمَه المنهوكَ في أحضان خلاّنه ،
فلا تطلب إذا ما عدت للأوطان خلاّنا
لأنّ الجوع لم يترك لنا صحباً نناجيهمْ
سوى أشباح موتانا

* * *

أخي ، إن عاد يحرث أرضَهُ الفلاّحُ أو يزرعْ
ويبني بعد طولِ الهجرِ كوخاً هدّه المدفع
فقد جفّت سواقينا وهدّ الذلُّ مأوانا
ولم يترك لنا الأعداءُ غرساً في أراضينا
سوى أجياف موتانا

* * *

أخي ، قد تمّ ما لو لم نشأه نحن ما تمّا
وقد عمّ البلاءُ ، ولو أردنا نحن ما عمّا
فلا تندب، فأذنُ الغير لا تصغي لشكوانا
بل اتبعني لنحفر خندقاً بالرّفش والمعولْ
نواري فيه موتانا

* * *

أخي، من نحن ؟ لا وطنٌ ولا أهلٌ ولا جارُ
إذا نمنا ، إذا قمنا ، رِدانا الخزيُ والعارُ
لقد خمّت بنا الدنيا كما خمّت بموتانا .
فهات الرّفش واتبعني لنحفر خندقاً آخر
نواري فيه موتانا ...

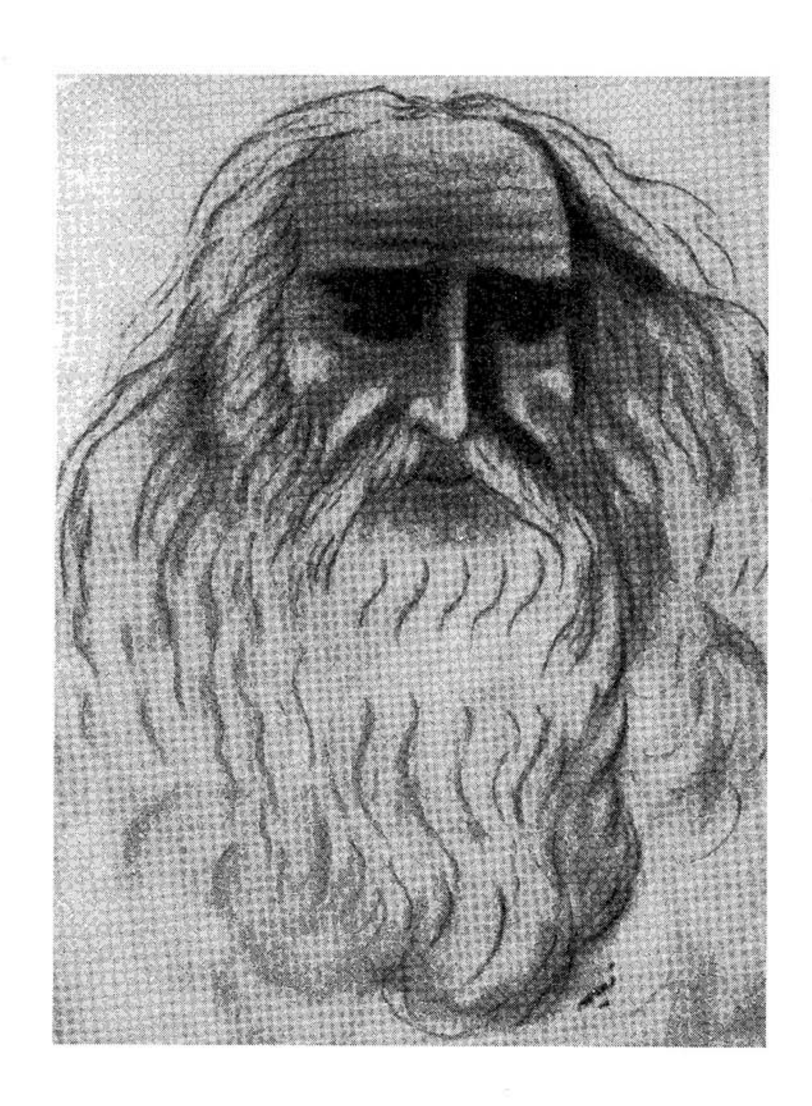
* * *

مِنْ أنت يَا نَفْسي

إن رأيتِ البحرَ يطغى الموجُ فيه ويثورْ .
أو سمعتِ البحرَ يبكي عند أقدام الصخورْ ،

ترقبي الموجَ إلى أن يحبس الموجُ هديرَه
وتناجي البحر حتى يسمع البحر زفيره

راجعاً منكِ إليْهِ .
هل من الأمواجِ جئتِ ؟



إن سمعتِ الرّعدَ يدوي بين طيّات الغمامْ
أو رأيتِ البرقَ يفري سيفُه جيشَ الظّلام ،

ترصدي البرقَ إلى أن تخطفي منه لظاهْ ،
ويكفّ الرعدُ لكن تاركاً فيك صداه

هل من البرقِ انفصلتِ ؟
أم مع الرّعدِ انحدرتِ ؟

إن رأيتِ الرّيح تذري الثلجَ عن روس الجبالْ ،
أو سمعتِ الرّيح تعوي في الدجى بين التّلال ،

تسكن الرّيح وتبقَيْ باشتِياقٍ صاغيهْ
وأناديكِ ولكن أنتِ عنّي قاصيهْ

في محيط لا أراه .
هل من الرّيحِ وُلدتِ ؟

إن رأيتِ الفجرَ يمشي خلسةً بين النجومْ
ويـوشّـي جبّـة اللـيـل المولّـي بـالـرسـوم ،

يسمع الفجر ابتهالاً صاعداً منكِ إليهْ
وتخرّي كنبيٍّ هبط الوحيُ عليه

بخشوعٍ جاثيَـه .
هل من الفجرِ انبثقتِ ؟

إن رأيتِ الشمسَ في حضن المياه الزاخرهْ
ترمق الأرضَ وما فيها بعينٍ ساحره ،

تهجع الشمسُ وقلبي يشتهي لو تهجعينْ ،
وتنام الأرضُ لكن أنت يقظى ترقبين

مضجعَ الشمس البعيدْ .
هل من الشمسِ هبطتِ ؟

إن سمعتِ البُلبلَ الصدّاحَ بين الياسمينْ
يسكب الألحانَ ناراً في قلوب العاشقين ،

تلتظي حزناً وشوقاً، والهوى عنكِ بعيدْ
فاخبريني ، هل غنا البلبل في الليل يُعيد

ذكرَ ماضيكِ إليكِ ؟
هل من الألحانِ أنتِ ؟

إيه نفسي ! أنتِ لحنٌ فيّ قد رنّ صداه
وقّعتكِ يدُ فنّانٍ خفيّ لا أراه .

أنتِ ريحٌ ونسيمٌ ، أنت موجٌ ، أنت بحرُ ،
أنت برقٌ ، أنت رعدٌ ، أنت ليلٌ ، أنت فجرُ

أنت فيضٌ من إله !

١٩١٧

جبلُ التمنّــي

نتمنّى ، وفي التمنّي شقـاءٌ
ونـنـادي يا ليت كـانوا وكنّا

ونـصـلّـي فـي سـرّنـا لـلأمـانـي
والأماني في الجهرِ يضحكن منّا

غير أني ، وإن كرهت التمنّي ،
أتمـنّـى لـو كـنـت لا أتمـنّـى

نتمنّى وما التمنّي سوى مهماز
دهـرٍ يـحـثّـنَـا لـلـمـسـيـرِ
فصغيراً قد كنت أطلب لو كنت
كبيراً ولي صفات الكبيرِ
وكبيراً ، لو عدت طفلاً صغيراً
واستردّت نفسي نعيمَ الصّغيرِ

وخليّاً ، لو كنت بالحبّ مضنى
وأسيرَ الغرام، لو كنت حرّا
وفصيحاً ، لو كنت عيّاً سَكوتاً
وسَكوتاً ، لو كنت أنطق درّاً
وحكيماً ، لو كنت غرّاً ، وغرّا
لو عرفت المكنون سرّاً فسرّا

ووحيداً ، لو كان حوليَ ناسٌ
ومحاطاً بالناسِ ، لو كنت وحدي

وغريباً ، لو كنت ما بين أهلي
وقريباً ، لو طال أو دام بُعدي

ووضيعاً ، لو كنت صاحبَ مجد
ومجيداً ، لو لم يكن ليَ مجدي

وفقيراً ، لو كان لي بحرُ مال
وغنيّاً... لو كان لي ضعف مالي

فلكَم حالةٍ طمحت إليها
قائلاً إنْ بلوتها قرّ بالي

وأراني ، ما زلتُ عبدَ الأماني
أتمنّى لو كنت في غير حالي

* * *

كلّنا يزرع الأماني ولا نحصد
بعد العناء غير الأماني

فالأماني حبلٌ نسير عليهِ
فوق بحر الوجود كالبهلوانِ

والأماني يقرضن حبلَ الأماني
كالثواني يقرضنَ حبلَ الثّواني

* * *

أتمنّى ما زلت أجهل نفسي
وأُنادي يا ليتني ولو انـي

وأُصلّي في داخلي للأماني
والأماني في الجهرِ يضحكن منّي

غير أني لا بدّ أبلغ يوماً
فيه أُمسي حرّاً عديمَ التمنّي

١٩١٩

مِنْ سفرِ الزمان

١ - الى سنة مدبرة :

روحي! فكم شبّتْ وشابت سنينْ
من قبل أن بانت حواشيكِ !
واليوم كفٌّ الدهر تطويكِ
عنّا، ومن يدري متى تُنْشَرينْ ؟

روحي وخلّينا
بالأرض لاهينا ،
نرعى أمانينا
في مرجِ أوهامِ

مـــا بـــين أيّـــامٍ وأعـــوامِ
تـأتـي وتمـضـي وهـي سرٌّ دفـينْ

٢ - الى سنة مقبلة

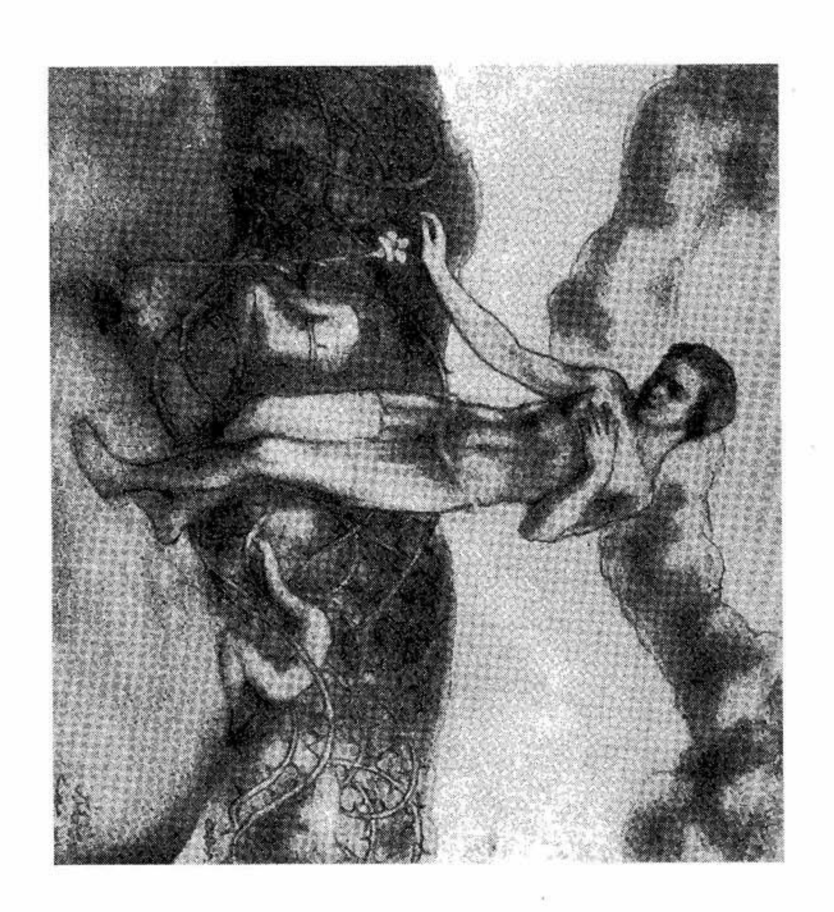
ما أنتِ في سِفر الزمان العظيمْ
إلاّ صدى الماضي وصوت الغدِ
فيكِ استوى من قبل أن تُولَدي
قطبا حياةٍ نحن فيها نهيمْ
لا جوعها يشبع
لا موتها يهجع ،
لا طـامعٌ يقنـعْ
فيها ولا الزّاهـدون
النّـاس فـي أسـرارهـا حـائـرون
والسرّ، لو يدرون، فيهم مقيمْ

١٩١٩

لو تُدْرِكُ الأَشْوَاكُ

يـا سـاقـيَ الجْلاّس بـالـلّـه لا
تحفل بكاسيَ بين هذي الكؤوسْ
أترعْ لغيري الكاس ، أمّا أنا
فاحسب كأنّي لست بين الجلوس
واعبر ، ودعني فارغَ الكاسِ

لا، لا تقل ما طابت الخمرُ لي
أو أنني ما بينكم كالغريبْ ،
بل إنّ لي يا صاحبي خمرةً
ما مثلها يُطفي بروحي اللهيب
أعـصِرهـا مـن قـلبـيَ الـقـاسـي



يـا مـرسـلَ الألحان مـن عـوده
سحراً يهيج الصبَّ حتى الجنونْ ،
إمّا رأيت الرّأس منّي انحنى
والعين غابت خلف ستر الجفون
وفلا تـقُـل ذي حـالُ ولـهـانِ

لا ، لست بالولهان يا صاحبي ،
فالقلب منّي جامدٌ كالجليد .
لكنّني مصغٍ لنفسي ، ففي
نـفـسـيَ أوتـارٌ وفـيـهـا نـشـيـد
فـاضـرب ، ودعـنـي بـين ألحانـي

* * *

يا ساكن القصر الجميل اغتبط
يا صاحبي واهنأ بقصرٍ جميلْ
ولتسقِك الأيامُ من كوثر اللذات
ولـتـمـنـحـك عـمـراً طـويـل
تجـنـي الـهـنـا عـامـاً ورا عـامِ

لا ، لا تقل ما راقني قصرك العالي
أو انـي لم يـطـب لـي هـواهْ
بل ان لي يا صاحِ قصراً أبثْ
نفسي بأن تلجا لقصرٍ سواه
ذا قـصـرُ أفـكـاري وأحـلامـي

* * *

يا جالساً بين اللحود التي
سكّانها أضحوا تراباً ودودْ
إيْ ، إنّ مَن تبكيه يا صاحبي
لا شكّ خدنٌ أو صديقٌ ودود
أو ، إن تشا ، قل خير إنسانِ
لكنْ غداً تنساه ، أمّا أنا
ففي حياتي كلَّ يومٍ دفينْ
إذ أنني أجتثّ زادَ البِلى
منّي ، وكم يبلى رجاء ثمين
في لحظةٍ من عيشنا الفاني !

* * *

يا حاشدَ الأموال فلساً إلى
فلسٍ يكدّ اللّيلَ قبل النهارْ
أيّامُه صفرٌ كأعوامه
لا لون فيها غير لون النضار
عمياء تجري حيث لا تدري

لا والّذي الأقدارُ خدّامه
ما في فؤادي غصّةٌ من غناكْ
إذ قد حباني الحظُّ بعضَ الغنى
يا صاحبي من غير ما قد حباك
فاحشد ولا تشفق على فقري

* * *

يا حاملَ الإنجيل يدعو إلى
نبذ المعاصي منذراً بالعقابْ
بشّر وخلّص يا أخي أنفساً
ضلّت لكي تلقى جميلَ الثّواب
إذ ينصبُ الديّانُ ميزانَه

إمّا صَمَمْتُ الأذنَ عنك فلا
تغضب ودعني في ضلالي أهيمْ
إذ لي فؤادٌ قد حوى جنّةً
واللّه أدرى كم حوى من جحيم
فاكرز ، ودع قلبي وأدرانَه

* * *

يا زهرة ما بين شوكٍ نمت
لولا شذاها ضلّ عنها البصرْ
هل تدرك الأشواكُ يا زهرتي
أنّ الشذا هذا شذاكِ انتشر
في الحقل لا عطر لها فاحا ؟
هل تدرك الأشواكُ ما تدركين ؟

هل عطّر العليْقُ أذيالَه
من حيث تمتصّين أنت الأريجْ ؟
أم حاك غير الشوك ثوباً له
من حيث حكتِ أنت أبهى النسيجْ؟
قد تصبح الأشواكُ آقاحا
لو تعرف الأشواكُ ما تعرفين !

١٩٢٠

ابْتهالات

كحّلِ اللهمّ عيني
بشعاعٍ من ضياك
كي تراك

في جميع الخلق : في دود القبورْ ،
في نسورَ الجوّ ، في موج البحار
في صهاريج البراري ، في الزهور ،
في الكلا ، في التبر ، في رمل القفار

في قروح البرص ، في وجه السليمْ ،
في يد القاتل ، في نجع القتيلْ ،
في سرير العرس ، في نعش الفطيم
في يد المحسن ، في كفّ البخيل

في فؤاد الشيخ ، في روح الصغير
في ادّعا العالِم ، في جهل الجهول
في غنى المثري ، وفي فقر الفقير ،
في قذى العاهر ، في طهر البتول
وإذا ما ساورتها سكتةُ النوم العميقْ
فاغمض اللهمّ جفنيها إلى أن تستفيقْ

* * *

وافتح اللهمّ أُذني
كي تعي دوْماً نداكْ
من علاك

في ثغاء الشاة ، في زأر الأسودْ
في نعيق البوم ، في نوح الحمامْ
في خرير الماء ، في قصف الرعود
في هدير البحر ، في زحف الغمام

في غنا البلبل ، في ندب الغرابْ
في دبيب النّمل ، في هبّ الرياح
في طنين النحل ، في زعق العُقاب
في صراخ الليل ، في همس الصباح

في بكا الأطفال ، في ضحك الكهول
في ابتهالات العراة الجائعينْ
في انتحاب الناي ، في دقّ الطبول
في صلاة الملك والعبد السجينْ

وإذا ما قرب الموت ووافاها الصّممْ
فاختمنْ ربي عليها ريثما تحيا الرّممْ

* * *

وليكن لي يا إلهي
من لساني شاهدان
صادقان

إنّ أفُهْ بالحَقّ فليشهد معي
أو أفُهْ بالبُطْل فليشهد عليّ
وإذا ما قام غيري يدّعي
يا إلهي الحقّ في بُطلٍ وغيّ

فليكن سيفاً لساني حدُّهُ
في سبيل الحقّ ماضٍ لا يُهابْ
لا يكفُّ الضّرب حتى ضدّه
ينثني عن غيِّه نحو الصواب

وإذا ما خان نطقي قلمي
فأراه البُطْلَ في الحقّ الصريحْ
في كلام الغير ، فاجعل من فمي
للساني أيها الباري ضريح
فلسانٌ يعلن الحقّ وسرًّا يذبحهْ
ليت شعري غير صمت الموت ماذا يصلحه

* * *

واجعل اللهمّ قلبي
واحة تسقي القريب
والغريبْ

ماؤها الإيمان ، أمّا غرسُها
فالرّجا والحبُّ والصّبرُ الطويلْ
جوّها الإخلاص ، أمّا شمسها
فالوفا والصدق والحلم الجميل

فإذا ما راح فكري عبثا
في صحارى الشكّ يستجلي البقاء
مرّ منهوكاً بقلبي فجثا
تائباً يمتصّ من قلبي الرّجاء

وإذا ما أملي يوماً مشى
تائهاً في مهمه العيش السحيقْ ،
عاد لمّا كاد يقضي عطشا
يحتسي الإيمانَ من قلبي الرقيق

وإذا الإيمان ولّى والرجا أضحى ضريرْ
فلينم قلبي إلى أن ينفخ البوق الأخيرْ

١٩٢٠

•

صَدَى الأجراس

بـالأمـس جـلـسـتُ ، وأفـكـاري
سـرحـتْ تـسـتـفـسـر آثـاري

وتـرود الحاضـر والماضـي
أمـلاً أن تـدرك أسـراري

واصـطـفّـتْ حـولـيَ أيّـامـي
تـسـتـعـرض عـسـكـر أحـلامـي

فـمـشـت أحـلامـي تـخـفـرهـا
وتـقـود خـطـاهـا أوهـامـي

وأفاق الشكّ وأنصاره ،
آلام العيش وأوزاره ،

فأطلّوا من قلبي ليروا
قلباً تتقطّع أوتاره

وشباباً يجمعها أبدا
ويعقّدها عقداً عقدا

وعليها يعزف ألحاناً
لا تُطرب في الدّنيا أحدا

وإذا بسكينتيَ ارتجفتْ
وقوافل أفكاري وقفتْ ،

إذّ مزّق سترَ اللّيل صَدًى
عرفتهُ الأذنُ وما عرفت :

دِنْ . دِنْ ... دِنْ . دِنْ ...

باللّه شكوكيَ خلّيني
وحدي . ذا الصّوتُ يناديني

ذا صوت صباي يردّده
الوادي وشواهق صنّيني .

سمعاً . دن . دن ! سمعاً . دن . دن !

قولوا لرفاقي يجتمعوا
فالشّمسُ رويداً ترتفعُ ،
واليوم العيدُ وربّ العيد
ينادينا ، أوَما سمعوا ؟

دن . دن ! دن . دن !

هوذا قد أقبل أترابي
أهلاً ، أهلاً بأصيحابي !
النّاسُ تسير إلى القدّاس
ونحن نكرّ إلى الغابِ

دن . دن ! دن . دن !

أشجارُ الغاب تحَيّينا
وطيور الغاب تناجينا

وزهـور الـغـاب تـصـافـحـنـا
ونـصـافـحـهـا وتـهـنّـيـنـا

دن . دن ! دن . دن !

الـرّيـحُ تمـرّ بـنـا خـبـبـا
فـيـمـيـس الحَورُ لـهـا طـربـا

والـشـمـس بـلـطـفٍ تـلـثـم أوجُـهَـنـا
وتـذرّ لـنـا ذهـبـا ذهـبـا

أغـصـان الـغـاب تـلاعـبنا
وهـوام الـغـاب يـداعـبنا

وصـخـور الـوادي تـدعـونـا
وصـدى الأجـراس يـعـاتـبنا

دن . دن ! دن . دن !

هـا هـم أتـرابـي قـد سـرحـوا
فـي الـغـاب يـقـودهـمُ المرحُ

وبـقـيـت أنـا وحـدي سـكـرانـا
يـرقـص فـي قـلـبـي الـفـرحُ

فجلست على كتف النّهرِ
ما بين العوسج والزهرِ

العالم مملكتي ، وأنا
سلطان العالم والدّهرِ

الزّهر يعطّر أنفاسي
والنهر يولّد في رأسي

أشباحاً راقصةً لخرير
الماء وصوت الأجراسِ

دن – دن – دن ...

مَنْ ذلك بين الأشجارِ
يمشي كخيالٍ من نارِ ؟

هو يضرب عوداً والأشجار
تئنّ لشكوى الأوتارِ

دن – دن...

الزهر ينكّس تيجانَهْ
والحَورُ يلملم أغصانهْ

والـرّيـح تمـرّ عـلـى أوتـار
الـعـود فـتـخـنـق ألحانـه
دن ...

مـا بـال سـكـينتـيَ اضـطـربـتْ
وجـحـافـل أشـبـاحـي هـربـتْ

والـغـاب ومـا فـيـهـا ووجـوه
رفـاقـي عـن عـيني احـتـجـبـت ؟

قـد عـاد الـشـكّ وأنـصـاره ،
آلامُ الـعـيـش وأوزاره

وأطـلّـوا مـن قـلـبـي لـيـروا
قـلـبـاً تـتـقـطَّـع أوتـاره

وشـبـابـاً يـجـمـعـهـا أبـدا
ويـعـقّـدهـا عـقـداً عـقـدا

وعـلـيـهـا يـعـزف ألحانـاً
لا تُـطـرب فـي الـدّنـيـا أحـدا

١٩٢٠

الطَّريق

نحن يا ابني عسكرٌ قد تاه في قفرٍ سحيقْ
نرغب العَودَ ولا نذكر من أين الطريقْ

فانتشرنا في جهات القفر نستجلي الأثرْ
نسأل الشمس عن الدرب ونستفتي الحجر

وسنبقى نفحص الآثار من هذا وذاكْ
ريثما ندرك أنّ الدرب فينا لا هناكْ

وسنبقى في انتقالٍ وشقاءٍ وعذابْ
وصعودٍ وهبوطٍ ، وذهابٍ وإياب

وسنبقى نهجع الليل وفي الصبح نفيقْ
ريثما نلقى منانا - ريثما نلقى الطريق

١٩٢١

أورَاقُ الخَريف

تنـاثـري   تنـاثـري
يـا   بـهـجـة   النـظـرّ

يا مرقص الشمس ويا
أرجـوحـة   الـقـمـر

يـا أرغـن الـلـيـل ويـا
قـيـثـارة   الـسّـحَـرْ

يا   رمز   فكرٍ   حائرِ
ورسم   روحٍ   ثائرِ

يا ذكر مجدٍ غابرِ
قد   عافك   الشّجرْ

تناثري !   تناثري !

تعـانقي وعانـقي
أشبـاحَ مـا مضى
وزوّدي أنظـارك
من طلعـةِ الفضا
هيهات ان ، هيهات ان
يعود مـا انقضى
وبعـد أن تفارقي
أترابَ عهدٍ سابقِ
سيري بقلبٍ خافقِ
في موكب القضا
تعانقي ! تعانقي !
سيري ولا تعاتبي
لا يـنـفـع الـعـتـابْ
ولا تلومي الغصن
والرّياح والسّحاب
فهي إذا خاطبتها
لا تحسن الجواب

والدّهر ذو العجائبِ
وبـاعـث الـنّـوائـبِ
وخـانـقُ الـرغـائـبِ
لا يـفـهـم الخطـابْ

سيري ولا تعاتبي !
عودي إلى حضن الثرى
وجـدّدي الـعـهـودْ
وانسي جمالاً قد ذوى
ما كـان لـن يـعـود

كم أزهرت من قبلك
وكـم ذوت ورود
فلا تخـافي ما جرى
ولا تـلـومـي الـقـدرا
من قد أضاع جوهرا
يـلـقـاه فـي الـلّـحـودْ

عودي إلى حضن الثرى !

١٩٢١

تَخْديرُ أفكار

بربّكِ ، لا ، لا تسرقي دمعة الباكي
ولا تخنقي ، لا تخنقي أنّة الشّاكي
ولا تسكبي زيتاً على جرح بائس
يرى بجروح القلب ما كان يخفاكِ
ولا تضفَري إكليل غار لشاعر
أعدّتْ له الأقدار إكليل أشواك
ولا تفتحي عين الضرير لكي يرى
جمال محياك وقبح محياك

ولا تلمسي أذن الأصمّ لكي يعي
تنافرَ ضوضاك وأُلفة ضوضاك

ولا تُنطقي من كان أبكم صامتاً
لينشد ذكراك ويلعن ذكراك

ولا تجبري عظماً كسيرًا بصدر من
تحطّم منه القلبُ في نوّ اهواك

ولا ترفعي عيناً عن الأرض نحو ما
تستّر عنها في فضاء وأفلاك

بربّك ، أفكاري ، دعينيَ سابحاً
ببحر وجودي – دودةً بين أسماك

ضريراً ، أصمّاً ، أبكماً ، متجلبباً
بجهلي وضعفي ، دون علمٍ وإدراك

فنصحُك تمويهٌ ، وصدقك حبّةٌ
من القمح في أكداس تبنٍ وأحساك

وكم صدّقتْ تمويهَك النفسُ سابقاً
فما كان أغباها ، وما كان أقساك !

١٩٢٢

التَّـائِـهُ

أسير في طريقي   في مهمهٍ سحيقِ
ووحـدتـي رفيـقـي   ووجـهـتـي الـفـضـا

مـطـيّـتـي الـتـرابُ   وخوذتي السحـابُ
ودرعـيَ الـسّـرابُ   ورائـدي الـقـضـا

تـسوقـنـي الـثّـوانـي   في موكب الزّمانِ
ولست أدري شاني   في معرض الورى

فلا القضا ينبيني   ولا الرّجا يهديني
ولا السما تعطيني   نـوراً لـكـي أرى

بل في ضلوعي نارُ تثيرها الأقدارُ
يا ليتها تختارُ سواي موقدا

نارٌ بلا رمادِ يُشوى بها فؤادي
وليس إذ ينادي من يسمع الندا

واحرقتي ، اوّاهِ لو كنت أدري ما هي
أشعلةُ الإلهِ أم شعلة الرّدى

فهيَ التي تحيِيني ، وهي التي تفنيني
وهي التي تسقيني من جمرها ندى

وهي التي لظاها أرانيَ الإلاها ،
وهي التي لولاها لم أعرفِ الشقا

ربّاه هل بليّه ذي النارُ أم عطيّه
تحلو بها المنيّه ويعذب البقا ؟

هل جرّها عنادي عليّ أم فسادي ،
أم جرها انقيادي لسلطة الهوى ؟

أم جرها غروري بفكريَ المبتورِ ،
أم جرّها قصوري عن فهم ما انطوى؟

ربّاه هل يلامُ   مَن ريّه أُوامُ
ونورهُ ظلامُ   إنْ قلبه كبا ؟

أم يجلب العقابا   من يأكل الضبابا
ويرتدي السرابا   إنْ فكرُه نبا ؟

أخالقي رحماكا   بما برَت يداكا !
إن لم أكن صداكا   فصوت من أنا ؟

ربي ، ألا تراني   أساقُ كالحملانِ
ربي ، أما كفاني   عمايَ والوني ؟

فابدل لظى نيراني   بجمرة الإيمانِ
واجعل من الحنانِ   للقلب مرهما

إذ ذاك بالتهليلِ   أسير في سبيلي
وخالقي دليلي ،   ووجهتي السّما !

١٩٢٢

آفاقَ القَلْبُ

دموعُ العين قد جمدتْ ،
وريح الفكر قد خمدتْ ،
فلِمْ ، يا قلبُ ، لِمْ يا قلبُ
فيك النّار في لهبٍ
وكنت أظنّها خمدت؟

ربيع العمر مذ ذهبا
وريق الحبّ مذ نضبا ،
أفقتَ ، وكنتَ يا قلبي
بلا سمعٍ ولا بصرٍ
كصخرٍ في الحشا رسبا

فكم من مرّة هجما
عليكَ الحبّ فانهزما
وكم ، كم قد جثا قلب
أمامك حاملاً أملا
فراح مزوَّداً ألما !

وكم عينٍ لديك بكت ،
وكم روح إليك شكت ،
فسالت مهجةُ الشّاكي
وجفّت دمعةُ الباكي
ورسماً فيك ما تركت !

إلى أن دار في خلدي
بأنّك لست من جسدي
وأنّك طينةٌ لمّا
براني اللّه لم ينفخ
بها من روحه الأبدي



فقلت لفكرتي اتّقدي ،
وقلت لنفسيَ اتّئدي
فنور الفكر يهدينا
إذا ما قلبُنا جمدا
ونوراً فيه لم نجدِ

ورحت أجوب ما استترا
من الدّنيا وما ظهرا
وأبحث في غبار العيش
عن خزفٍ وعن صدفٍ
أراه بفكرتي دررا

ورحتُ أقيس أيّامي
وأعمالي وأحلامي
وما حولي ومن حولي
وما تحتي وما فوقي
بأفكاري وأوهامي

فأطرح كلّ ما حادا
عن المقياس أو زادا
وأفصل ذاك عن هذا
فأدعو البعض أشباها
وأدعو البعض أضدادا

كذا قسنا ليالينا
وحاضرنا وماضينا
أنا والفكر ، يا قلبي
ومن أكداس ما قسنا
لقد شدنا علالينا

كذا يا قلب ، شدناها
ودهراً قد سكنّاها
بعيداً عن صدى الأنّات
واللّوعات والشكوى
وعن دنيا كرهناها

جعلت الفكر حاميها
لأنّ الفكر بانيها
ولم أترك لقلب كان
ميتاً بين أضلاعي
ولا مقصورة فيها

فقمتَ اليوم واعجبا
من الأمواتِ ملتهبا
لتحرق ما بنيناه
ولا تبقي لنا حجرا
ولا خشباً ولا حطبا

وتتركنا بلا مأوى
ولا سندٍ ولا سلوى
تصفّقنا رياح العيش
في أقطار دنيانا
كما تهوى ولا نهوى

أقلبي احكم ولا ترهبْ
فما لي منك من مهرب
فأنت اليوم سلطاني
وأنت اليوم ربّاني
أدرني كيفما ترغب

ودمّرْ كلّ أسواري
وفضّح كلّ أسراري
وإن تعثر فلا تندم
وإن تأمر فلا ترحم
وزد ناراً على نارِ

وخلّ النّاس بالنّاسِ
تقيس البحرَ بالكاسِ
وقل للفكر إنّ القلب
بحرٌ شاسعٌ طامٍ
يُقاسُ بغير مقياسِ !

أفاق القلب ، واطربي !
أفاق القلب ، واحرَبي
فنم يا فكر ، أو فاخضع
لقلب كان من حجرٍ
فصار اليوم من لهبِ

١٩٢٢

•

الخَيرُ والشَّر

سمعت في حلمي ويا للعجب !
سمعت شيطاناً يناجي ملاكْ
يقول «اي بل ألف اي يا أخي
لولا جحيمي أين كانت سماك ؟
أليس أنّا توأمان استوى
سرّ البقا فينا وسرّ الهلاكْ ؟
ألم نُصَغْ من جوهرٍ واحدٍ ؟
إن ينسني الناس أتنسى أخاك ؟»
فأطرق ابن النّور مسترجعاً
في نفسه ذكرى زمانٍ قديمْ
واغرورقت عيناه لمّا انحنى
مستغفراً ، وعانق ابنَ الجحيم
وقال «اي بل ألف اي يا اخي
منْ نارك الحرّى أتاني النعيم»
وحلّق الاثنان جنباً إلى
جنبٍ وضاعا بين وشي السديمْ

١٩٢٢

انْشُودة

ألقيتُ دلوي بين الدّلاءِ
وقلت علّي أحظى بماء
فعاد دلوي مع الدّلاء
وليس فيه إلاّ رجائي

أطلقت قلبي عند الغروبِ
ليتسلّى مع القلوب
فعاد قلبي بعد الغروب
يشكو إليّ ثقل كروبي

أرسلت طرفي بين النّجومِ
وقلت علّي أنسى همومي
فطاف طرفي بين النجومِ
ولم يشاهد سوى غمومي

علّقت عودي على الغصونِ
وقلت علّي أسلو شجوني
فلم تردد على الغصونِ
أوتار عودي إلاّ جنوني

قدّمت حبّي لمبغضِيّا
لقاء ما قد جنوا عليّا
فكان حظّي من مبغضيّا
أن عاد حبي بغضاً إليّا

علوت يوماً متن جوادي
ورشت سهمي على الأعادي
فخرّ ميتاً تحتي جوادي
وارتدّ سهمي إلى فؤادي

أدرت وجـهـي نـحـو الـسّـحـابِ
وصـحـت : ربـي خـفّـفْ عـذابـي !
فـجـاء صـوتٌ مـن الـتـرابِ
يـصـيـح : ربـي خـفّـفْ عـذابـي

لـمّـا أتـتني بـالأمـس روحـي
تـشـكـو جـروحـاً فـوقَ الجروحِ
هَـمَـسْـتُ سـرّاً فـي روح روحـي
يـا روح غـنّـي ولا تـنـوحـي

فـالـعـمـر لحنٌ إذ تـسـمـعـينهْ
تـعِـينَ مـنـه مـا تـنـشـديـنـه
والـعـيـش حـقـلٌ تـسـتـثـمـريـنـه
يـعـطـيـك ممّـا تـسـتـودعـيـنـه

١٩٢٢

قبورُ تَدُورُ

هلمّي ! هلمّي نحيّ القبورْ
ونمتصّ منها رحيق الدهور
عسانا إذا ما رأينا عظاما
يفتّق منها الربيعُ الزهور
عرفنا بأنّ الفناءَ بقاءٌ
وأنّ الحياة قبورٌ تدور

هلمّي ! هلمّي وخلّي الرجاءْ
ومدّي بعينيك نحو الفضاء
عساكِ إذا ما رأيت شموساً
تغيب وتبدو بحكم القضاء
عرفت بأنّ البقاء امتثالٌ
وأنّ الرجاءَ شقاءُ البقاء

تعالي ! تعالي وخلّي الكفاحْ
لأجل الصلاح وضدّ الطلاح
وقولي إذا ما همستِ سلاماً
بأذن المساء فردّ الصباح
أليس الصباحُ شقيقَ المساء
أليس الطلاحُ شقيقَ الصلاح ؟

تناسَيْ زمانَ الصّبا والشبابْ
وسوقي مع الرّيح جيش السحاب
وقولي أفي السُّحب قَطْرٌ فتيٌّ
وقطرٌ تقادمَ عهداً فشاب ؟
أليس الشباب ، أليس المشيب
سحاباً ونحن دموع السحاب ؟

تخلّي عن الصّدق للكاذبينْ
وعن عفّة الحبّ للعاشقين
وخلّي الفخار لأهل النضار
ومجدَ المعارف للجاهلين
وخلّي المعالي وجدّ الليالي
وحبَّ التفوُّق للمقعَدين

بـعـينيـكِ نـورٌ تـرآه الـعـيـونْ
جميلاً فتضحك منها المنون
لأنّ المنـايـا تحـدّق فـيـك
بعين الزمان الّتي لا تخون
فتبصر في مقلتيك تراباً
وتـبـصـر دوداً وراء الجفـون

فخلّي جمالاً يراه الغرورْ
وليستْ تراه عيون الدهور
وخلّي الجهاد ، وخلّي الطموح
وخلّي القصور وحيّي القبور
ودوري مع الكون جيلاً فجيلاً
فهل نحن إلاّ قبور تدور ؟

١٩٢٨

لَّمَا رأيتُ النَّاس

لمّا رأيت الناس قد أضرموا
للجهل نيراناً لكي يحرقوه

وشيّدوا عرشاً رفيع الذّرى
وهيكلاً للعلم كي يعبدوهْ

وضعت إيماني على راحتي
وقلت : ها علمي ، ألا كرّموه !

وقُدْتُ نحو النارِ عقلي الغبي
وقلت : ها جهلي ، ألا فاتلفوه !

فأجلسوا عقلي على عرشهم
وحرقوا الإيمان لم يرحموه

وإذ رأيت الناس قد نصّبوا
للكذب صلباناً لكي يصلبوه

وتوّجوا الصدق، ومن حبِّهم
للصدق في أرواحهم حكّموه

قدّمت ما بي من ضمير لهم
وقلت : ها كذبي ، ألا سمّروه !

وسقت قلبي نحوهم هازجاً
وقلت : ها صدقي ، ألا توّجوه !

فسمَّروا قلبي ، وواحسرتي
أمّا ضميري فلقد ألّهوه ...

١٩٢٢

الطُمأنينة

سقفُ بيتي حديدْ ركنُ بيتي حجرْ
فاعْصفي يا رياحْ وانتحبْ يا شجرْ
واسبحي يا غيوم واهطلي بالمطر
واقصفي يا رعودْ لست أخشى خطر
سقف بيتي حديدْ ركن بيتي حجرْ

من سراجي الضّئيلْ أستمدّ البصرْ
كلّما الليل طالْ والظّلام انتشر
وإذا الفجر ماتْ والنهار انتحر
فاختفي يا نجومْ وانطفئ يا قمر
من سراجي الضئيلْ أستمدّ البصر

باب قلبي حصينْ من صنوف الكدرْ
فاهجمي يا هموم في المسا والسحر
وازحفي يا نحوس بالشّقا والضجر
وانزلي بالألوف يا خطوب البشر
باب قلبي حصين من صنوف الكدر

وحليفي القضاءْ ورفيقي القَدَرْ
فاقدحي يا شرور حول قلبي الشّرر
واحفري يا منون حول بيتي الحُفَر
لست أخشى العذاب لست أخشى الضرر
وحليفي القضاء ورفيقي القدر

١٩٢٢

يا رَفيقي

يا رفيقي ، رفيق جسمي وروحي ،
وشريكي في نعمتي وشقائي

وصديقي ، صديق علمي وجهلي ،
ونديمي في شدتي ورخائي

إن دعانا ربّ السماء إليه
لحسابٍ ، حذارِ من أن تُرائي

يا رفيقي أمام ربّ السماء

قـل جَـهِـلـنـا الحرام فـي كـلِّ أمـرٍ
وسـلـكـنـا فـي كـلِّ يـومٍ سـبـيـلاً

فـأبـحـنـا لـلـنـفـس مـا الـنـفـسُ تـهـوى
وشـفـيـنا مـن الـفـؤاد الـغـلـيـلا

إذ نـظـرنـا إلـى الـوجـود بـعـينٍ
جـعـلـتـهـا لـنـا الـسـمـاء دلـيـلاً

لم نُـخَـيَّـر في نـخبـهـا ، لم نُـشارِكْ
لا كـثـيراً فـي صـنـعـهـا ، لا قـلـيـلا

فـرأيـنـا الخلاّق لمّا رأيـنـا
كـلَّ شـيء ممـا يـراه جـلـيـلا

وعجيباً وطاهراً وجميلا

قل هبطنا على الحياة ضيوفاً
لا ولاةً نُدير منها خُطاها

أو قضاةً نقضي لها وعليها
أو غزاةً نبتزّ منها حلاها

فجلسنا إلى خوانٍ أنيقٍ
بسطت فوقه الحياة غناها

وأكلنا ولم نُمَسّ برجسْ
وشربنا ولم نُدنِّس شفاها

ولعمري ما الرجس والكفر إلاّ
أن نرى في جنى الحياة بلاها

وجناها يذيع فينا الإلها

قـل ولجنـا قـصـر الحيـاة عُـراةً
واقـتـربـنـا مـن الحيـاة سـكـارى

فـاسـتـطـبنا لـهـاثَـهـا ولَـمـاهـا
وعـشـقـنـا ظـلامـهـا والـنـهـارا

ورضـعـنـا مـن ثـديـهـا مـا اشـتـهـينا
ونـزعـنـا عـن مـنـكـبـيـهـا الإزارا

وغـرفـنـا مـن حـفـنـتـيـهـا كـنـوزاً
وقـطـفـنـا مـن وجـنـتـيـهـا ثـمـارا

غـيـر أنّـا لمّا دُعـينا انـطـلـقـنـا
وتـركـنـا ، كـمـا وجـدنـا ، الـديـارا

وخرجنا منها عُراةً حيارى

قـل أطـعـنـا فـي كـلّ مـا قـد فـعـلـنـا
صـوت داعٍ إلـى الـوجـود دعـانـا

فـجـنـيـنـا مـن الحيـاة ولـكـن
قـد أعـدنـا إلـى الحيـاة جـنـانـا

وأكـلـنـا مـنـهـا ولـكـن أكـلـنـا
وشـربـنـا لحومـنـا ودمـانـا

ومـضـيـنا ، ولا نـدامـةَ فـيـنا ،
وتـركـنـا كـؤوسـنـا لـسـوانـا

فـإذا كـان فـي الحيـاة حـرامٌ
فـحـرام مَـن مـثـلـنـا أن يـهـانـا

وحرام مَن مثلنا أنِ يدانا

يـا رفـيـقـي ، رفـيـق جـسـمـي وروحـي ،
وشـريـكـي فـي نـعـمـتـي وشـقـائـي ،
قـل رأيـنـا طـهـارةً وجـمـالاً
لا فـسـاداً فـي صـنـع ربّ الـسـمـاء
فـأبـحـنـا لـلـنـفـس كـلّ مـنـاهـا
وتـركـنـا الحرام لـلـفـقـهـاء

١٩٢٢

ذَمُّكَ الأيام

ذمُّك الأيامَ لا ينفعكْ
فهي لا أُذن لها تسمعكْ

لا ولا عين ترى عقرباً
في دياجير الأسى تلسعك

لا ولا قلب يرقّ وإنْ
جفّ من طول البكا مدمعك

عندها سيّان يا صاحبي
أزهرت أم أقفرت أربُعك

عـنـدهـا سـيّـان يـا صـاحـبـي
نـغـمـة الـهـازج والـنـادب

وابـتـسـامُ الـطـفـل فـي مـهـده
وانـتـحـابُ الـعـاجـز الخائـب

ورضـا الـراضـي بـقـسـمـتـهـا
وعـداء الـثـائـر الـصـاخـب

عـدلـهـا فـي أنـهـا لا تـرى
حـال مـغـلـوبٍ ولا غـالـب

ذمُّـك الأيَـامَ لا يـنـفـعـكْ
إنمـا الأيّـامُ لا تـسـمـعـكْ

فـهـي مـنـك الـظـلّ يـا صـاحـبـي
عـجـبـاً ظـلّـك كـم يـخـدعـك !

١٩٢٢

الى دُودة

تـدبّـين دبَّ الـوهـن فـي جـسـمـيَ الـفـانـي
وأجـري حـثـيـثـاً خـلـفَ نـعـشـي وأكـفـانـي

فـأجـتـاز عـمـري راكـضـاً مـتـعـثـراً
بـأنـقـاض آمـالـي وأشـبـاح أشـجـانـي

وأبـنـي قـصـوراً مـن هـبـاء وأشـتـكـي
إذا عـبـثـت كـفّ الـزمـان بـبنيـانـي

فـفـي كـلّ يـوم لـي حـيـاة جـديـدة
وفـي كـلّ يـوم سـكـرة الموت تـغـشـانـي

ولـولا ضـبـاب الـشّـكّ يـا دودة الـثـرى
لـكـنـت أُلاقـي فـي دبـيـبـك إيمـانـي

فـأتـرك أفـكـاري تـذيـع غـرورهـا
وأتـرك أحـزانـي تـكـفّـن أحـزانـي

وأزحف في عيشي نظيرك جاهلاً
دواعيَ وجدي أو بواعث وجداني

ومستسلماً في كلّ أمرٍ وحالةٍ
لحكمة ربّي لا لأحكام إنسان

* * *

فها أنتِ عمياء يقودك مبصرٌ
وأمشي بصيراً في مسالك عُميان

لك الأرض مهدٌ والسماء مظلّةٌ
ولي فيهما من ضيق فكريَ سجنان

لئن ضاقتا بي لم تضيقا بحاجتي
ولكن بجهلي وادّعائي بعرفاني

ففي داخلي ضدّان : قلبٌ مُسَلِّمٌ
وفكرٌ عنيدٌ بالتساؤل أضناني

توهّمَ أنّ الكون سرٌّ وأنّه
يُنال ببحث أو يباح ببرهان

فراح يجوب الأرض والجوّ والسما
يسائل عن قاصٍ ويبحث عن دانِ

وكنت قصيداً قبل ذلك كاملاً
فضعضع ما بي من معانٍ وأوزان

* * *

وأنتِ التي يستصغر الكلّ قدرها
ويحسبها بعضٌ زيادةَ نقصان

تدبّين في حضن الحياة طليقةً
ولا همّ يضنيك بأسرار أكوان

فلا تسألين الأرض مَن مدّ طولها
ولا الشمسَ مَن لظّى حشاها بنيران

ولا الريحَ عن قَصد لها من هبوبها
ولا الوردةَ الحمْراء عن لونها القاني

وما أنتِ في عينِ الحياة دميمة
وأصغر قدراً من نسورٍ وعقبان

فلا التّبر أغلى عندها من ترابها
ولا الماس أسنى من حجارة صوّان

هل استبدلت يوماً غراباً ببلبلٍ
وهل أهملت دوداً لتلهو بغزلان ؟

وهل أطلعت شمساً لتحرق عوسجاً
وتملأ سطح الأرض بالآس والبان ؟

لعمرك ، يا أختاه ، ما في حياتنا
مراتب قَدْرٍ أو تفاوت أثمان

مظاهرها في الكون تبدو لناظرٍ
كثيرةَ أشكالٍ عديدةَ ألوان

وأقنومها باقٍ من البدء واحداً
تجلّت بشهبٍ أم تجلّت بديدان

وما ناشدٌ أسرارها ، وهو كشفها ،
سوى مشترٍ بالماء حرقة عطشان

١٩٢٣

تَـرْنيمةُ الرياح

هـلّـلـي ، هـلّـلـي يـا ريـاحْ
وانـسـجـي حـول نـومـي وشـاحْ

مــن خــريــر الـغـديــرْ
واهــتــزاز الأثــيــر
واخــتــلاج الــعــبــيــر
فــي دمــوع الــصــبــاح

هللي ، هللي يا رياح

طـوّقـيني بـنـور الـنّـجـومْ
وافتـحـي لـي قـصـور الـغـيـومْ

واتـركـيني هـنـاكْ
فـوراء الـسـمـاكْ
قـد لمحـت مـلاكْ
بـاسـطـاً لـي الجنـاح

هللي ، هللي يا رياح

هـا أنـا يـا مـلاك الـنـعـيـمْ
يـا رسـول الإلـه الـرحـيـمْ

مـا عـسـاك تـشـاءْ
مـن تـرابٍ ومـاء
فـيـهـمـا ألـف داء
مـا لـهـا مـن بـراح ؟

صفّقي ، صفقي يا رياح !

ما أنا يا ملاكي السعيدْ
غير طيفٍ شريدٍ طريدْ

علّمَتْه الحنينْ
عاديات السنين
فاستطاب الأنين
واسترقّ النواح

صفقي ، صفقي يا رياح !

أتردّى رداء المنونْ
وأداوي الأسى بالظّنون

كلّ فكري عناد
كلّ نومي سهادْ
كلّ دربي قتاد
كلّ عيشي كفاحْ

قهقهي ، قهقهي يا رياح !

كـان لـي فـي قـديم الـزمـانْ
مـرتـعٌ فـي ريـاض الجنـانْ

بـعـتـه بـالـوعـود
هـل تـراه يـعـود
لـو نـكـثـت الـعـهـود
والـتـمـسـت الـسـمـاح ؟

قهقهي ، قهقهي يا رياح !

يـا مـلاكـي ألا مـن مـآبْ
لـطـريـدٍ بـراه الـعـذاب ؟

إنْ يـعـزّ الـرجـوعْ
أفـلا مـن هـجـوعْ
لـغـريـب الـربـوع
يـا مـلاك الـصـلاحْ ؟

ولولي ، ولولي يا رياح !

قـل لماذا اعـتـراك الـذبـولْ ؟
هـل تـراك نـظـيـري تجـولْ

فـي رحـاب الـفـضـا
نـادبـاً مـا مـضـى
طـالـبـاً عـوضـا
عـن ديـار الـفـلاح ؟

ولولي ، ولولي يا رياح !

عـجـبـاً بـالـدمـوع تجـيـبْ
فـإذن أنـت مـثـلـي غـريـبْ

أنـت مـثـلـي طـريـدْ
هـائـمٌ تـسـتـعـيـد
ذكـر مـاضٍ بـعـيـد
كـان حـلـمـاً وراحْ

هوّمي ، هوّمي يا رياح !

أنت مثلي ضللت الطريقْ
فيك سرٌّ كسرّي عميقْ

لا تنحْ يا ملاكْ
ما دهاني دهاك
إن نكن للهلاك
فالهلاك ارتياح

هوّمي ، هوّمي يا رياح !

قم بنا فالرّياحُ تكادْ
تجعل الدّمع منّا جماد

وتعالَ نَنَمْ
في سرير الندم
علّ ستر الظُّلَم
في المنام يزاح

اسكتي ، اسكتي يا رياح
١٩٢٣

الهمُّ

دفنتُ في الصبح همّي وقوسَهُ وسهامَهُ
فلملم الحزنُ عنّي ضبابَه وغمامَه
وحطّم القلبُ منّي قيودَه ولجامَه
وراح يعدو ويشدو والحبّ يعدو أمامه
والكون في ناظرَيه سعادةٌ وسلامه
واللّه يشرح فيه جمالَه ونظامه

مضى النهارُ ولمّا مدّ الظلامُ خيامَه
أتانيَ القلبُ يشكو والخوفُ يُملي كلامه
يشكو وفي ناظرَيه لِلْهَمّ ألفُ علامه
فقلتُ : « ويحك قلبي هل عاودتك السآمه ؟ »
أجابني بخطابٍ فهمت منه ختامه :
« أخاف أنْ ما دَفنّا يقوم يوم القيامه »

١٩٢٣

فَتّش لقَلْبَك

عجباً يروّعك الظلامْ
فتبيت مرتجف العظامْ
ويودّ قلبُك لو ينام
في صدرك النومَ الأخيرْ
أفما لقلبك من جليس أو سميرْ ؟

والفجرُ إذ يبدو يراكْ
أبداً بهمٍّ وارتباكْ
فيميل عنك إلى سواك
وسواك يفهم ما يقولْ
أفما لقلبك ترجمان أو رسول ؟

وتخوض ميدان الكفاحْ
وسط النهار بلا سلاح
فتخرّ من ألم الجراح
وتئنّ لكن لا مجيبْ
أفما لقلبك من مؤاسٍ أو طبيب ؟

وتجول وحدك في القفارْ
وعليك سترٌ من غبارْ
كمسافر يبغي الديار
لكنّه فقد السبيلْ
أفما لقلبك في مسيرك من دليل ؟

أسفي عليك فلا الذهابْ
سهلٌ لديك ولا الإيابْ
ستظلّ تخبط في ضباب
حتى ينير لك الطريق
قلبٌ يكون لقلبك الواهي رفيق

١٩٢٣

العِراكُ

دخـل الـشـيـطـانُ قـلـبـي فـرأى فـيـه مـلاكْ
وبـلـمـح الـطـرف مـا بـينهـمـا اشـتـدّ الـعـراك
ذا يقول : البيت بيتي ! فيعيد القولَ ذاك
وأنـا أشـهـد مـا يـجـري ولا أبـدي حـراك
سائلاً ربي : « أفي ألأكوان منْ ربٍّ سواك
جبلت قلبي من البدء يداه ويداك ؟ »

* * *

وإلـى الـيـوم أرانـي فـي شـكـوك وارتـبـاكْ
لـسـتُ أدري أرجـيـمٌ فـي فـؤادي أم مـلاك

١٩٢٣

يَـا بَـحْرُ

أما تعبتَ ؟ عجيجٌ كَرٌّ فَفَرٌّ فَكَرُّ ؟
ماذا تروم ، وأنّى تسير لا تستقرّ ؟
فكأنّما فيك مثلي قلبان : عبدٌ وحُرّ
هذا يروم فراراً من ذا وليس مفرّ
يا بحر ، يا بحر قل لي هل فيك خيرٌ وشرّ ؟

هل في سكونك أمنٌ وفي هياجك ذعرُ
أم في امتدادك يسرٌ وفي انقباضك عسرُ
وفي انخفاضك ذلٌّ وفي ارتفاعك فخرُ
وفي سكوتك حزنٌ وفي هديرك بِشرُ
يا بحرُ ، يا بحر قل لي هل فيك خيرٌ وشرّ ؟

وقفتُ ، والليل داجٍ ، والـبـحـر كـرٌّ وفـرّ
فـلـم يـجـبنيَ بـحـرٌ ولم يـجـبنيَ بـرّ
وعـنـدمـا شـابَ لـيـلـي وكـحّـل الأفـقَ فـجـرُ
سـمـعتُ نـهـراً يغنّـي : « الـكـونُ طـيٌّ ونـشـرُ
فـي الـنـاس خـيـرٌ وشـرّ في البحر مدٌّ وجزرُ »

١٩٢٢

بَيْنَ الْـجَماجم

حدّثيني عن الحياة عسى أعطي فؤادي اللجوجَ عنها جوابا

* * *

حدّثيني عن القلوب التي كانت قلوباً واليوم صارت ترابا
كيف كانت بالأمس سكرى ولا تحسب للموت في الحياة حسابا
نابضاتٍ حُبّاً وبغضاً وإيماناً وشكّاً وراجياتٍ ثوابا
ها أنا ألمسُ التراب فلا ألمس همّاً أو غبطةً أو عذابا
وأُصيخ إلى التراب فلا أسمع شكوى أو لهفةً أو عتابا
أترينَ الأشواق صارت بروقاً ودموع الأحزان أضحت سحابا
وأنين القلوب أمسى رعوداً وأمانيّها استحالت ضبابا ؟
أم ترينَ التراب عادَ تراباً وسراب الآمال عاد سرابا ؟

* * *

حدثيني عن الخدود التي بالأمس كانت مذابحاً للجمالِ
تُنطِقُ المؤمنين بالكفر والكفّار بالسبح للقوي المتعالي
نتبارى بلا انقطاعٍ إليها ونضحّي لها بأغلى الغوالي
كم سجدنا أمامها وابتهلنا وقرعنا صدورنا في الليالي
وحرقنا القلوبَ منّا بخوراً ونظمنا العيونَ عقد لآلي
ها أتينا لنُترع الروح ممّا كان فيها لطرفنا من كمال
وغريبٌ أن لا نرى حيث كانت غير دود يدبّ بين الرّمال
ويح قلبٍ يرى الخيال جمالاً ! ويح عقلٍ يمحو جمالَ الخيال !

* * *

حدثيني عن نسمةٍ جعلت آدمَ حيّاً وكان ترباً وماءَ
يا لها نسمة أرتنا بصيصاً في ظلام البقا فزدنا عماء
ما لبسنا الحياة حتى لبسنا في ثنايا ثوب الحياة الفناء
فغدونا إذا رجونا عزاء صار ذاك الرجاء فينا بلاء
ونسينا أنّا ترابٌ فلا بالأرض نرضى ولا ننال السماء
نسمة اللّه أين ، أين استقرت بعد أن عادت الجسوم هباء ؟
أإلى صدر خالق الكون آبت تحمل الهمّ والأسى والشقاء ؟
أم طوتها الأقدار لكن لحين ؟ أم هواءً كانت فعادت هواء ؟

حدّثيني عن الحياة لكي أعطيَ عني أمام نفسي حسابا
فعسى الخافق الذي ضمن صدري لا يزيد النيران فيه التهابا

١٩٢٤

الى M.D.B

أنا السرّ الذي استترا
بروحك منذ ما خطرا
ببال الكائن الأعلى
خيالُ العالَم الأدنى
فصوّر من ثرًى بشرا

أنا الصبح الذي ائتلقا
بقلبك قبل أن خفقا
وقبل أن التظت شمسٌ
وشعشع في السما بدرٌ
وبرقٌ في الدجى بَرقَا



أنا الدّمع الذي لمعا
بعينك عندما انقشعا
لأوّل مرّةٍ عنها
ضبابُ الغيب والوسنِ
فذاقت روحُك الوجعا

أنا المهد الذي ضمّا
كيانَك قبلما تمّا
وقد فرشت لك الأقدار
فيه الورد والحسكا
وصفوَ البال والهمّا

أنا الحَمَل الذي حملا
ذنوبَك باسماً جذلا
فما زلّت به قدمٌ
ولا يوماً شكا التعبا
أو الأثقالَ والمَللا

أنا في ليلك القمرُ
أنا في صفوك الكدرُ
أنا في شدوك الندبُ
وفي تنواحكِ الشّدوُ
أنا بزنادك الشّرَرُ

أنا في حظّك الشكوى
أنا في تعسك النجوى
أنا الجلاّد والآسي
أنا الغرّار والهادي
أنا البلوى ، أنا السلوى

أنا في قلبك القَبَسُ
وفي أجفانك النعسُ
أنا في فكرك العجبُ
وفي أحلامك الرؤيا
وفي إصباحك الغلسُ

وأنت السرّ في سرّي
ومعنى العمر في عمري
وأنت اليأس في أملي
ومينا الأمن في وجلي
وأنت الخَلّ في خمري

فهاتي يداً ، وهاك يدي
على رَغد ، على نكد
وقولي للأولى جهلوا :
معاً كنّا من الأزلِ
معاً نبقى إلى الأبدِ !

١٩٢٥

الان

غـداً أردّ هـبـاتِ الـنـاس لـلـنـاسِ
وعـن غـنـاهـمْ سـأسـتـغـنـي بـإفـلاسـي
وأسـتـردّ رهـونـاً لـي بـذمّـتـهـم
فـقـد رهـنـت لـهـم فـكـري وإحـسـاسـي
ورحـت أتجـر فـي أسـواق كـسـبـهـم
فـمـا كـسـبـت سـوى هـم ووسـواس
وكـم فـتـحـتُ لـهـم قـلـبـي فـمـا لـبـثـوا
أن نـصّـبـوا بَـغْـلَـهـم فـي قـدس أقـداسـي

غـداً أُعـيـد بـقـايـا الـطّـين لـلـطـينِ
وأُطـلـق الـروح مـن سـجـن الـتـخـامـينِ
وأتــرك الموت لـلـمـوتـى ومَــن وَلَــدوا
والخيـر والـشـرّ لـلـدّنـيـا ولـلـديـن
وألـبـس الـعـري درعـاً لا تحـطّـمـه
أيــدي الملائــك أو أيــدي الـشـيـاطـين
فـلا تـروّعـنـي نـار الجحـيـم ولا
مـجـالـس الحور فـي الـفـردوس تـغـريـنـي

غـداً أجـوز حـدود الـسـمـعِ والـبـصـرِ
فـأدرك المبـتـدا المكـنـون فـي خـبـري
فـلا كـواكـب إلا كـان لـي سُـبُـلٌ
فـيـهـا ، ولا تـربـة إلا بـهـا أثـري
لـي فـي الـقـضـاء قـضـاءٌ والمنـون منًّـى
وفـي مُـلاحَـمـة الأقـدار لـي قـدَري
غـداً ؟.. ولا أمـس لـي حـتـى أقـول غـداً
فَـلتمحـهـا «الآن» مـن نـطـقـي ومـن فـكـري

١٩٢٦

ما يلي
ترجمات نثرية لبعض
منظومــات الشاعر
الانكليزية

نَدْبَةُ رَأسُ السَّنة

ماذا دهاكم يا صحابي
فرُحتم تَغلون ، وترغون ، وتفورون ،
وتتسابقون إلى حيث لا تعلمون ،
وتتجاذبونني إلى حيث تتسابقون ؟
أكُلّ ذلك لأنّ هذه الكريَة الهائمة في الفضاء
قد أكملت دورة من دوراتها حول الشمس ؟
ولكن ، ما شأني مع الأرض أرضكم ،
والشمس شمسكم ،
وأنا ما برحت ولن أبرح
هوًى جائشاً

في خضمّ الوجود
الذي لا تحصره أرض ولا سماء ؟
آمالكم تلِدها السنون ثم تخنقها السنون ،
وأفراحكم تستحمّ بالدمع وتدّهن بالدم ،
وحبّكم مقمّط أبداً بقُمُط الذعر والبغضاء
التي لا توشك أن تبلى حتى تتجدّد
فكيف لي أن أترنّح بما تترنّحون
وأمَلي ما وُلد بعد ولن يولد ،
وفرحي بريء من الدمع ،
طاهر من البسمات ،
وحبي عريان كالصباح ؟

أيحتاج إلى سراجٍ من اتخذ كبد الليل مسكناً له ،
ومَن لا يسلك في مسالك الخير والشر
التي تنتهي أبداً حيث تبتدئ ؟

أيغمس شفتيه في كوب من الخمر
مَن يطفئ أوامه من ينابيع ربّانية ؟

أم يطرب لرعشة الأوتار
مَن سكينته ترتعش ليل نهار
بأنغام أجرامٍ
للّه ما أقصصاها عن جرمكم هذا ؟
ألا أغرقوا بالخمر قلوبكم العطشى إلى النسيان
أمّا أنا فلن أغرق قلبي النشوان واليقظان .
ألا ليتكم تصمّون آذانكم
ولو لحظة عن هرجكم ومرجكم
وتفتحونها لولولة الأرض وعويل أبناء الأرض
فقد تشتاقون عندئذٍ ولادة جديدة
لا سنة جديدة.

١٩٢٥

صَرَفْتُ حَبيبَـتي عَنّي

صرفت حبيبتي عني وناشدتها اللّه
ألاّ تعود إليّ
إلاّ من بعد أن تتقن الحبّ

لكنّها ما عتّمت أن عادت
وأكبّت بشفتيها على شفتيّ
كأنها الرّضيع الجائع يكبّ على ثدي أمّه
وعندما انتشت وتنهّدتْ تنهّدة الشهوة الظافرة
سلختُ فمها عن فمي وهمست في أذنها :
إليك عني يا يمامتي

لقد أتقنتِ تغذية ملذاتك المائتة ،
أمّا الحبّ فما تعلّمته بعد

وأطلّت على الأرض أهلّة حول بكامله
وإذا بحبيبتي تسترق خطاها إلى مخدعي
كأنها الحلم عند الفجر
وإذا بها تجثو عند قدميّ
فتغسلهما بدمعها السخين
وتجففهما بأنفاس لهفتها المتأججة
وعندما ابتهلَتْ عيناها إلى عينيّ
همست في أذنها :
انهضي ، انهضي يا يمامتي ، وإليك عني
لقد تعلّمت كيف ترويّن أحزانك العطشى
أمّا الحبّ فما تعلّمته بعد

وانقضى الحول والحولان
من قبل أن عادت حبيبتي تقرع بابي ،
وفي يدها الواحدة مبخرة ،

وفي الأخرى شمعة مشعَلة
وما ان اجتازت العتبة
حتى أخذت تسجد لي وتمجدني
بصوت كلّه حنين وإيمان وورع
وعندما فرغت من عبادتها همست في أذنها :
اذهبي ، اذهبي بسلام يا يمامتي
لقد أتقنت تمجيد محاسنك الموهومة ،
أمّا الحبّ فما تعلّمته بعد

ومرّت دهور لم أرَ لحبيبتي في خلالها وجهاً
فأيقنت أن المنيّة أَدركتها
من فرط قسوتي ووفرة حبّها
ورحت أبحث عن مقرّها الأخير
إلى أن بلغت شاطئ اللاذاتية
وإذا بي أبصر حبيبتي هناك
غارقة في لجة من الأحلام
فدنوت منها بخفّة ، وبرقّة فائقة سألتها :
ما بالك وحدكِ على هذا الشاطئ المهجور ؟

فأجابتني برقّة فائقة :
أيكون وحده مَن أضاع ذاته في الحب ؟
إذ ذاك هتفت عالياً :
إليَّ، إليَّ يا حمامتي !
لقد آن وقت الطيران .

١٩٢٦

عهدٌ قَاطِعٌ

(إلى من تنوء بعبء الهموم)

ألا قرّ عيناً أيها القلب اللجوج ،
المرهَق بالأحزان ،
عهداً قطعتُ بألاّ أضحك
حتى أذرّيَ منك أحزانك
نظير ما تُذَرّى الحنطة من أحساكها
أمّا قبل ذلك فلن أضحك !

أيتها العينان الباكيتان بغير دموع
واللتان لا تعرفان الكرى ،
عهداً قطعتُ بألاّ أنام
حتى أنفيَ منكما أشباح الهمّ والخوف
التي غشت ما فيكما من نور
وعلّمتكما البكاء
أما قبل ذلك فلن أنام !
أيها الروح المتماوج أمسِ بالأنغام
والأخرس اليوم ،
عهداً قطعت بألاّ أغنّي
حتى أُعيدك قيثاراً موقعة الأوتار
شجيّة الرنّة
تحت أصابع الحبّ الفنّان
أمّا قبل ذاك فلن أغنّي !
يا صورة اللّه الفتّانة
الضائعة اليوم في وادي الظلّ والحيرة
عهداً قطعت بألاّ أموت
حتى أمزّق عنك أستارك

وأردّك مثلما كنتِ :
فتنة عريانة تحت الشمس .
لكنني إذ ذاك لن أموت !

١٩٢٨

السّباقُ

لا تقل يا أخي قد خسرت السباق
أجل ، إنني لأخفّ منك قدماً وأوسع خطًى
إلاّ أن سبيلك وسبيلي أبداً يتلاقيان
في خواء الزمان حيث لا سُبُل ولا شِعاب

سريعة هي الريح
ولكنّ النسيم الناعس الذي يلِدها ،
ثم يهجع في أحضانها ،
ليس بأبطأ منها

والعصفورة المرفرفة فوق وكرها ،
مهما تمادت في الطيران ،
لا تستطيع أن تسبق الفراخ في الوكر
والنهر الذي يكرّ من ذروة جبل
معربداً مزبداً
ليس بأسبق إلى الأعماق السحيقة الساكنة
من دمعة أو من قطرة ندى

قم بنا يا أخي ، قم بنا !
فالنهار ما يزال فتيّاً
ونحن ما نزال في المضمار
وليس لنا أن نتساءل
عمّن هو السابق واللاحق
إلاّ من بعد أن يتقلّص المكان
وينصرم الزمان

وإلى أن يكون ذلك هات دموعك
لنغرق فيها ضحكي

طارحين عنّا أثقالها القتّالة للروح
ولنَسِرْ كلٌّ في سبيله
غير آبهين بالهازجين
ولا بالساخرين
الباركين على جوانب الطريق .

اللِقـاءُ

يا طول ما فصلتنا غمار ونجاد !
يا طول ما ابتهلنا من أجل هذه الساعة
التي ستجمع قلبين شتيتين
لينبضا بنبضة واحدة ،
وروحين أخرسهما البين
ليزقزقا كروح واحد !

وها هي تلك الساعة - ها هي
ساعة النبضات الثائرة ،
والتنهدات الخرساء ،

والشفاه المرتعشة بكلمات
تكاد تكون بذاءةً
إزاء الكلمات الواثبة من العينين
بغير استئذان
ها نحن نذوب من جديد
في عناق طويل
ونحُوك أحلاماً لا تشحب
من خيوط حبّ لا يشيخ ،
وآذاننا صمّاء دون زحف الثواني الحثيث ،
وأعيننا عمياء عن كل ما في الفضاء

ها جراح الأمس تتفتح عن أوجاع
نضجت اليوم فتحوّلت بلسماً وهناء ،
والحقول التي بذرنا فيها من قبل
حسراتنا
نحصد منها اليوم أفراحاً
لا عهد للأرض بأمثالها

ولكن ... واهاً لك أيها القلب
الجامح ، الخؤون ، المرهِق والمرهَق !
ما بالك تُسِرّ لي أمنية جديدة
فتشتهي لو أنّ ما كان بيننا وبينها
من نجاد وغمار
لم ينطوِ قطّ ولن ينطوي
كيما أُقيم وإياك في سعير سرمديّ
بانتظارها ؟ !

١٩٢٨

•

الشّرارُ

ناري تشبّ وتزفر ،
والشرار السجين في الجذوع والقشور
يتواثب إلى فوق
فلا تلمحه العين
حتى تلفّه ظلمة الليل في ثنايا جلابيبها .
وأنا - سجين الثواني والدقائق ،
والشرارة الدفينة في حمأة اللحم والدم -
أرقب رقصاتها العجيبة السريّة
وكأنني في عالم مسحور

إيه أفئدة الغابات الظليلة !
ألعلّك في وثباتك الملتهبة
إنما تثبين من سبات إلى سبات ؟
أتذكرين أين كنتِ هاجعة منذ لحظة ،
أم تعرفين أين ستهجعين بعد لحظة ؟
أليس في يقظاتك النيّرة القصيرة المدى
ولا شبه أشباحٍ
لما فرشَتْه يد الحياة الحنون حول مضاجعك ؟
ألا ذكر فيها للجذور
التي حتَمَت على نفسها التنسك
في ظلمة الأرض الأبدية
كيما تُرضع أفنانها اللدنة عصير الحياة
وتنهض بها إلى عالم النور الجميل
والهواء الطّلق !
ألا رسم فيها للغصون المتطالّة إلى السماء ،
وللبراعم المتدثّرة بشعاع القمر ،
وللخيوط الذهبية
تغزلها الشمس بمغزلها العجيب ،

وللرياح الهائمة
والنسمات الثملة بالحبّ
المغمى عليها عند الهجيرة
في أحضان الشوح والسنديان ،
وللسموات الباكية ،
والسواقي المقهقهة ،
والطيور التي كانت تترع أحلامك
أنغاماً شجيّة ؟

إيه شويهبات تشعّ في جَلَدٍ
ما طاله الشّعر ولا الفنّ ،
ماذا الذي تتغنّين به
إذ تصعدين سلّم النار
إلى قمم غير هذي القمم
وغابات غير هذي الغابات ؟
أسَيفُ نقمة أنا
فكّكَ ما كان بينكِ من أواصر المحبّة
وبعثر شملك في الفضاء ،

لذلك تنوحين وتندبين ؟
أم أنا سيف رحمة
أطلقك من سجنك الطويل ،
لذلك تتهللين وتزغردين ؟

* * *

ناري تميد وتلهث وتلملم ألسنتها ،
والرماد يختم شفتيها على مهل .
والذي أخفاه عني تحت خاتمه
يأبَى عليّ كشفَه الليلُ الغيور .

١٩٢٨

نَهْرٌ يُغَنّي

أُرضِع السُّحْبَ فتُرضِعني
أبداً أبدا
أُترع البحرَ فيُترعني
أبداً أبدا
أبطأ الأشياء أسرعها
أبداً أبدا
أوضع الأشياء أرفعها
أبداً أبدا
أبعد الأشياء أقربها
أبداً أبدا
ألين الأشياء أصلبها
أبداً أبدا

* * *

إن شئتَ خير دليلٍ
فَسِرْ بغير دليلْ
أو شئت أصفى خليلٍ
فعش بغير خليلْ

* * *

أتيتُ البحر في مَدّهْ
وجئت البحر في جزرهْ
فلا بالمدّ أدناني
ولا بالجزر أقصاني
فقلت وراقه قولي :
أنا والبحر سِيّانِ

١٩٢٨

الاكْتِمالُ

على غُصينٍ متوحّد
من شُجيرة متوحدة
وُرَيقة متوحدة
غارقة في يمّ أحلامها

بينا السماء من فوقها صفيحة هائلة دكناء
تتلاطم في قلبها الأسود هوج الرياح
ناسجةً من سواده كفناً للأرض فائق البياض .

أتْرابها ، جيرانها ، أصحابها
تساقطوا من حولها من أمدٍ بعيدْ
وواحد منهم لم يرجعْ

ليخبرها عن العالم السفلي .
حتى البلابل التي كانت ترنّم
حول سريرها صباح مساء
تحوّلت غرباناً
تنعب فوق رأسها نعيب السوء
لكنّها لا حزن في قلبها
ولا فرح
فهي تميل بطمأنينة
مع الغصن أنّى مالْ
عارفةً أن كُلّ أغْدِيتها
قد أصبحت أمسية
فعلى وجهها المتجعد البليل –
مثلما في قلبها المستيقظ الأمين –
قد تعانقت الفصول كلّها .

١٩٢٨

لَيَعْبُروا !

هذي القلوب وهذي العقولْ
الدارجة أبداً على المطاط والحديدْ
إلى حيث لا يعلم إلا اللّه ،
وهاته الأقدام المتسارعة أبداً
تحت لهيب سياط الشهوات الجامحة
من فخّ إلى فخّ ، ومن شرك إلى شرك -
كيف لنا يا نفس أن نماشيها ؟
إنها لتبتغي محجّات بغير عدّ
حين لا نبتغي نحن ولا محجّة
فتنحّيْ من طريقها
ودعيها تعبر.

ألمْ نطوِ الزمان كلّه في الآن
ونحشر المكان كلّه في ههنا ؟
ألم يتبوإ الموت والحياة من جبينك
عرشاً واحداً ؟
أليْسا على عرشهما
في عناق حبٍّ سرمديّ ؟
فماذا عسانا نشتهي بعد ،
وممّ نجزع ؟
لذاك إذا ما سمعت الجماهير المتماوجة
قارعةً طبولها ،
نافخة في زمورها،
طالبة بإلحاح حقّ المرور ،
تنحّيْ ساكتة عن طريقها ،
ودعيها تعبر !

١٩٢٩

أفيقي

أفيقي يا حبيبتي !
هوذا الليل يتعرّى على التلالْ
وفي ثنايا جلابيبه المحوكة من الأحلامْ
ثنية يهجع فيها ذلك الحلم النوراني
الذي جعَلَنا أسَنّ من كلّ أمس
وأفتى من كل غد

هوذا الفجر يترع من جديد
أجران الصباح بالنور
حيث لا مندوحة لكل ليل
من تعميد ما وَلَدَ من أسرار

أفي ساعديك يا حبيبتي قوة
لاقتبال الحلم العتيد عمده ؟
أفي ثدييك يا حبيبتي لبن
لشفتيه الطاهرتين ؟
أتعلمين يا حبيبتي أنه ساعة تفطمينه
يعود خلسة إلى تلافيف الظلمة
ولا يرجع إلى الأبد ؟
وإلاّ - فنامي يا حبيبتي
حتى انبلاج فجر غير هذا الفجر .

١٩٢٩

الْحَائِكُ

أنا هو المنوال والخيط والحائك
وأنا أحوك نفسي من الأموات - الأحياء ،
أمواتِ الأمس ، واليوم
والأيام التي ما وُلدت بعد .
والذي أحوكه بيدي
لا تستطيع قدرة أن تحلّه
حتى ولا يدي

تلك هي حكايتي يا عابر السبيل .
فاضرع معي
كيما تكون المحبّة قائدة لمكوّكك ،
مثلما هي قائدة لمكوّكي ،

في هذه اللحظة التي أراك فيها على منوالي
صورةً سريّةً كالقَدَر
وسرّاً سرمديّاً كاللّه .
والآن سِر في سبيلك .
ولا تقل لي وداعاً !
فأنا لا أقول وداعاً لأحد
أنا ماضٍ في حياكتي .

١٩٢٩

يَا عَقْلُ !

يا عقل خلّ عنك إرشادي
فاليوم أذني لا تعي ما تقول .
أمّا وقد اهتديت إلى الكأس -
كأسي -
وإلى الخمرة البكر التي فتشت عنها دهوراً
فلن تستطيع فيما بعد
أن تختم بخاتمك
على شفتيّ العطشتين ،
ولا أن تغلّ بأغلالك
يديّ الجائعتين
ولن أستطيع بعد اليوم
أن أخدع قلباً لفحه العطش

بضبابك الذي لا ندَى فيه .
أمِنَ الإثم أن أدعو هذه الكأس كأسي ؟
إذاً دعني أمتْ أثيماً
فأنا ما لمستها لمساً
إلا قفزتُ أبديّات ،
وعوالم شاسعات .
ولا تنشقت عبيرها
إلا وجدتني في قلب الجمال
ملتهباً بلهيبه .
ولا سكرت بخمرها
إلا امتزجتُ بعدم الفناء
وأحستني الكلّ في الكلّ .

١٩٢٩

يَا وَحْدَتي

إيه وحدتي ،
ما إخالها تستطيع أن تجوب سمواتك
التي لا شموس فيها ولا أقمار ،
وأن تطأ صحاريك
التي لا دروب فيها ،
وأن تمخر بحورك
التي لا شواطئ لها ،
وأن تسبر أغوارك
التي بغير قرار ،
وأن تتسلق قممك القاسية الجرداء ،
وأن ترقص بقدميها المجنّحتين
على طحلبك الزّلِق .

ولا إخال شفتيها المعسولتين تقويان
حتى على لمس كأسك
الملأى علقماً بكراً ،
ولا قلبها البتولَ قادراً أن يسمع
صراخ أحلامك المتشرّدة
كنتُ وإياكِ وحيدَين يا وحدتي
ووحيدين سنبقى إلى آخر الدهر
ولكن ، للّه ما أفسحنا اليوم
يا وحدتي
وما أغنانا !
فنحن بها وفيها ومعها
نصافح الأزل بيمنانا
والأبد بيسرانا .

١٩٣٠

الْـجُوع

ألقت الأقدار في قلبيَ حبّة
وسرعان ما اشتبكت جذورها وتمادت ،
وضخمت ساقها وتعالت
والتفّت أغصانها وترامت
إلى أن حَجَبت عني الأرض والسماء
وها هي اليوم مثقلة بثمار
ما إخال الملائكة يتذوّقون مثلها .
وأنا الذي يغذيها بعصير قلبه –
وإن أكُ جائعاً حتى التلف –
لست أجرؤ أن أمدّ يدي
إلى ثمرة من ثمراتها .

١٩٣٠

همس الجفون

•

للمؤلف

الآباء والبنون
الغربال
المراحل
جبران خليل جبران
زاد المعاد
كان ما كان
همس الجفون
البيادر
كرم على درب
الأوثان
لقاء
أكابر
أبعد من موسكو ومن واشنطن
أبو بطة
سبعون (٣ أجزاء)
اليوم الأخير
هوامش
أيوب

يا ابن آدم
في الغربال الجديد
أحاديث مع الصحافة
نجوى الغروب
صوت العالم
النور والديجور
مذكرات الأرقش
من وحي المسيح
ومضات (شذور وأمثال)
كتاب مرداد
النبي (ترجمة)
في مهب الريح
دروب

The Book of Mirdad
Kahlil Gibran
Memoirs of a Vagrant Soul
Till We Meet and Twelve Other Stories

هَمسُ الجُفون

... إذا كان للأمَم الحيّة أن تَزدهي بعبَاقرتها وأن تباهي بفَلاسفتها وشعرائها وكتّابها فقد حَقّ لنا نحن أبناء الأمّة العَربيّة أن نضَع ميخائيل نعيمه في رأس مفاخرنا الروحيّة والأدبيّة في هذا العصر.

ميخائيل نعيمه مدرسة انسانية فريدة، ومذهب ناصع من أنبل مذاهب الفكر الإنساني، العربي والعالمي.

وديوان **همس الجفون** كان فاتحَة الشعر العربي الحديث مثلما كان «الغربال» فاتحَة النقد الأدبي الحَديث. كلاهما شقّ في ميدان دروب التجديد في إبداع الأدب ودراسته.

إن قصائد **همس الجفون** أناشيد تأمّل عميق ومعاناة إنسانية ترقى إلى مستوى الكشف الرؤيوي في أبعاد الحيَاة الفرديّة والإجتماعية والكونية، فضلاً عن شفافيّتها التعبيريّة واسلوبيّتها الجماليّة الرائعة.

لقدكان ميخائيل نعيمه رائداً في كل ما أبدعت ريشته وشاعراً مرهفاً في كل ما كتب وما قال.

إن ميخائيل نعيمه يعطي بلا حِساب. وحسْب الناس أن تأخذ منه، إذا كان في الناس من يحسن الأخذ.


ISBN 9953-26-038-9
9 789953 260389